البناسي من نصفه المظلم واستتر عنا من نصفه المضي فيظهر في صفحة القمر ثلمة ثم يأخذ الظلام في الزيادة والضياء والنقصان
فيرى القمر على شكل الهلال الاهليلجي ثم كنصف دايرة ثم على شكل الهلال في جانب المشرق حتى ينمحق ويستتر عنا نصفه المضيء
بالكلية ويكون القمر مظلما لا يستضيء الا وجهه المقابل للشمس اذا كان القمر عند الاجتماع على طريقة الشمس اي على
مدارها او قريبا منه وذلك عند عقدتي الراس والذنب اذ لا عرض للقمر هنالك فيكون على منطقة البروج التي
هي مدار الشمس ابدا وبقرب عقدتي الراس والذنب فان القمر هناك قريب من مدار الشمس حال القمر بيننا وبين
الشمس فيستتر عنا ضوؤها وهو كسوف الشمس واعلم ان ذلك يختلف بحسب عروض البلدان شمالا وجنوبا وقلة
العروض وكثرتها والضابط فيه ان يكون القمر بحيث يقطع الخطوط الشعاعية الخارجة عن الابصار الى الشمس اما
جميعها او بعضها فيستتر عنا ضوؤها اما بالكلية وهو الكسوف التام او لا بالكلية وهو الكسوف الغير التام و
السواد الذي يظهر للحس في وجه الشمس حالة الكسوف فهو لون جرم القمر ولكون كسوف الشمس انما هو لحيلولة القمر
بيننا وبين الشمس وذلك السواد المشاهد انما هو لون القمر يبتدي سواد الشمس في الكسوف من جهة المغرب ثم اذا
اخذ القمر يمر بالشمس لكونه اسرع منها يبتدي الجلا ايضا من جهة المغرب للحوق القمر اياها من المغرب واذا كان القمر كذلك
على طريقة الشمس اي على احد العقدتين او حواليها باربعة وعشرين جزءا وكسر عند الاستقبال لحال الارض بين القمر
والشمس ووقع ظلها على القمر فلم يصل اليه ضوء الشمس فيبقى على ظلامه الاصلي وهو خسوف القمر وبيانه ان الارض
كثيفة مانعة بنفوذ الضوء فيها وحيث كان اصغر من الشمس يستضيء بضوئها اكثر من نصفها ويقع لها ظل في مقابلة
الشمس مخروط الشكل يستدق شيئا فشيئا وينتهي في افلاك الزهرة فالظل عند فلك القمر غلظ ما فاذا قطع هناك
مستو موازٍ لقاعدة مخروط الظل حصل دايرة مركزها في سطح البروج وفي جزء منها يقابل جزء الشمس وذلك
المركز يتحرك بمقدار حركة الشمس فاذا كان القمر في الاستقبال عديم العرض وقع في دايرة الظل وانخسف كله وان
كان ذا عرض بحيث لا يصل الى صفحته شيء من دايرة الظل لم يكن هناك خسوف اصلا وان كان عرضه اقل من ذلك انخسف
منه ما وقع في دايرة الظل وابتدا خسوف القمر وانجلاؤه من المشرق عكس الكسوف وذلك لان القمر يلحق ظل الارض
لكونه اسرع من الظل من جهة المغرب فيصل طرفه الشرقي اولا الى الظل فيأخذ ذلك الطرف في السواد اولا ويكون القمر
يلحق الظل من المغرب يكون مرور طرفه الشرقي بالظل والانفكاك ان طرفه الشرقي يصل اولا الى الظل كذلك هذا الطرف
مجاوزة اولا فيبتدي منها الانجلاء كما ابتدى منه الانخساف فعلم مما تقرر ان خسوف القمر امر عارض له يتحقق في
ذاته لا بالقياس الى الابصار وانه لا يمكن الا في اوساط الشهر وان كسوف الشمس انما هو امر بحسب الرؤية ليس في جرم
الشمس تغير اصلا وانه لا يتصور الا في اواخر الشهر والذي يظهر ان الحكمة في زيادة الركوع في صلاة الكسوف هي ان
الكسوف من آيات الله الباهرة يخوف بها عباده كما في الحديث فناسب زيادة الركوع فيه لانه مما فضل الله به
على هذه الامة دون غيرها اذ هو من خصايصها على ما قاله جماعة من المفسرين وغيرهم لما اخرجه البزار والطبراني
في الاوسط عن علي ان اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرت قال بعض العلماء وجه
الاستدلال منه انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات قيام الليل فتكون الصلاة
السابقة بلا ركوع وقرينة لخلو صلاة الامم السابقة منه انتهى وفيه ما فيه وقال جمع من المفسرين في قوله تعالى
واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة وانه لا ركوع في صلاة بني اسرائيل ولذا
امرهم بالركوع مع امة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولا يرد عليهم قوله تعالى يا مريم اقنتي واسجدي واركعي مع الراكعين

لان المراد

ان المراد بالركوع هنا مطلق الصلاة فيكون فيه ذكر الاعم الذي هو الصلاة بعد الاخص الذي هو السجود وافرد
السجود بالذكر لاختصاصه بالقرب الذي لا يوجد غيره ولانه افضل اركان الصلاة على قول وقيل المراد بالقنوت
ادامة الطاعة لقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقايما وبالسجود الصلاة لقوله تعالى وادبار السجود
وبالركوع الخضوع فاذا قلنا بما قاله هؤلاء من ان الركوع خاص بهذه الامة ناسب زيادته في هذه
الصلاة دون غيرها لانها لما كانت لطلب رضاه تعالى حذرا من خوف سطوته وعقابه وكان الركوع فيه
من الخضوع المناسب لذلك التخويف وفيه من الامتنان على هذه الامة ما ليس في غيره ناسب زيادته
توسلا باخص نعمه تعالى من حيث الصلاة على هذه الامة ولا اشكال ان التوسل باخص النعم له وقع ومزيد
دفع للفتن ونحو هذا ان قلنا انه من خصايص هذه الامة وان قلنا انه ليس من خصايصها فالحكمة زيادته
في ساير الصلوات كالوسيلة للسجود لان كلا منهما فيه خضوع لكنه في السجود اعظم فكان كالمقصد والركوع
كالوسيلة له ولهذا فصل بينهما بالاعتدال الحق لتتميز الوسيلة عن المقصد واذا كان الركوع كالوسيلة
ناسب اختصاصه بالزيادة اعلاما بان المطلوب في هذا الوقت الاكثار من الوسايل التي يتوصل بها الى
المقاصد ومن ثم سن الاكثار من الصدقة والعتق وغيرهما من وسايل الخير للوصول الى المقاصد
وهو دفع الله لهذه الاية المخوفة للعباد وايضا فالركوع اشق من السجود فكان في تكريره الاعلام بان المطلوب
في هذا الوقت الاكثار من الطاعات والزام النفس بما يشق عليها من فعلها لما تقدر عليه ولو مشقا فكثيره
من الخيرات ويؤيد ما ذكرته اتفاقهم على ان الاكمل المبالغة في تطويل الركوع واختلافهم في السجود
هل يطول اولا وليس ذلك فيما يظهر الا الاشارة لما ذكرته الى ان هذا الوقت وقت التوسل الى الله بتكليف
النفس ساير المشقات التي لها عليها من نوع قدرة لعل ان ينكشف عن الناس ما حل بهم هذا ولم يتكرر
الركوع وحده بل تكررت قراءة الفاتحة والاعتدال ايضا فحكمة تكرير الاعتدال انه تابع لانه للفصل بين الركوع
والسجود فلزم من تكرير الركوع تكريره فتكريره تبع لتكرير الركوع واما تكرير الفاتحة فلاشتمالها على الثناء
على الله تعالى بجامع صفاته الكلية وعلى الالتجاء اليه تعالى في ساير الامور فناسب تكريرها لذلك ليكون سببا
لرفع ما حل بالناس من ذلك الانزعاج والتخويف العظيم والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب وسئل فسح الله
في مدته ما حقيقة زلزلة الارض المعهودة المسماة بالرجفة فاجاب شيخنا متع الله بطول بقاه ونفع
بعلومه وبركته اما حقيقة الزلزلة فهو ما اخرجه ابو الشيخ في العظمة وابن ابي الدنيا في كتابه العقوبات
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم وعروقه الى الصخرة التي عليها الارض
فاذا اراد الله ان يزلزل قرية امر ذلك الجبل فحرك العرق الذي تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ثم تحرك القرية دون
القرية واخرج الخطيب وابن عساكر عنه ايضا قال جبل قاف محيط بالدنيا وقد اثبت منه الجبال وشبك بعضها
ببعض عروقه كالشجرة كالاوتاد فاذا اراد الله ان يزلزل ارضا اوحى الى قاف فحرك العرق واخرج عبد بن
حميد عن عكرمة ان ذا القرنين بلغ الجبل الذي يقال له قاف ناداه ملك فقال ذو القرنين ما هذا الجبل
قال هذا جبل يقال له قاف وهو ام الجبال والجبال كلها من عروقه فاذا اراد الله ان يزلزل قرية حرك
منه عرقا وقد يعارض هذه الآثار ما اخرجه الطبراني عن ابن عباس ما معناه ان الله اذا اراد ان يخوف
عباده ابدى عن شيء من آثار قدرته للارض فعند ذلك تزلزلت وما اخرجه ابن المنذر بسنده عن ابن جريج

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)